إسلام بن لادن

في بداءة السبعينات جمعتني ندوة الى السيد موسى الصدر والدكتور صبحي الصالح في مديرية الرياضة والشباب على ما اذكر وكان علي أن اعقد حلقة أرثوذكسية بعدها في شارع المكحول في رأس بيروت فتوسطتهما في سيارة اقلتنا إلى حيث كنت اقصد. وفيما كنا ندنو من مكان اجتماعي سألتهما: ماذا يقصد القرآن بقوله: "العزة لله ولرسوله وللمسلمين"؟ لم انتظر جوابهما فعلقت هكذا بما كان بيننا من مودة: "افهم أن تكون العزة لله ولا مشكلة عندي أن تكون للرسول وأما أن تكون للمسلمين بما يحمل كل مخلوق من خطايا فلست افهم".

كنت قد تلوتُ الآية خطأ فما ورد في سورة المنافقون هو: "العزة لله ولرسوله وللمؤمنين". والإسلام هوية او وجود محض والإيمان حركة وقيام بالله ورجاء ومحبة وسلام. والذين ضعفت عندهم هذه او لم تتوافر ليس لهم عزة. والقرآن نفسه علم الفرق بين الإسلام والإيمان في قوله: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (سورة الحجرات، الآية ١٤).

كذلك ليس كل مولود من أب مسيحي مسيحيا إذ عليه أن يكون "خليقة جديدة" وألا يحيا هو بل يحيا المسيح فيه. وإذا كان من "الصليبيين" فلا يكون السيد حيا فيه ولكنه يكون قاتلا. اللقاء والحوار والحب هي بين المؤمن والمؤمن ولا شأن لنا مع الانتساب المجتمعي ومع كوننا نأتي من أرحام النساء. عند المسيحيين لا قيمة للولادة ولكن للولادة الجديدة التي تكون فيها آتيا من الله ومن نعمته.

لذلك كان تقسيم العالم "الى قسمين قسم تحت راية الصليب كما قال رأس الكفر بوش وقسم تحت راية الاسلام" كما عبر عن ذلك الشيخ أسامة بن لادن، كلاما ليس من الواقع السياسي اذ ليس في الحروب الجارية "راية صليب". ان يرفض الفكر الإسلامي العلمانية لكونها تفصل الدين عن الدولة فهذا له ولكن رجاء ان يعرف ان دولة غربية واحدة لا تضع نفسها تحت راية الصليب ولا يذكر رئيس دولة اوربية اسم الله في خطاب له رسمي. هذا التقسيم بين راية الصليب وراية الإسلام لم يقنع اية دولة إسلامية دخلت ابواب الحلف مع اميركا ولا يشك احد في اسلامها وهو جزء من دستورها والقرآن مصدر تشريعها او بعض مصدر. وليس الا يل في دولة غربية واحدة مصدر تشريع لها وان كانت فيه بعض عناصر ساغ استيحاؤها والشعب وحده مصدر القانون عندهم وكان سعي الثورة الفرنسية وقانون نابوليون بعدها بقليل ان يبتر العلاقة بين الكنيسة والتشريع ثم بعد هذا جاء فصل الكنيسة عن الدولة. ولكن ربما كان على المسلم العادي – غير المتروض على معرفة الغرب – ان يسعى سعيه ليفك – من ذهنه – العلاقة بين الصليب

وجحافل العسكر الغربي ليكون منصفا لظالمه وينتقي لنفسه دافعا الى حربه غير ذلك الذي يتكلم عليه أسامة بن لادن.

* * *

ألم يكن هذا الرجل يعرف – لما كان مع الأميركيين في مجانسة تامة، ألم يكن يعرف آنذاك انهم كفار؟ لا بد انه قرأ الفتوى التي صدرت قديما في الاستانة ان "امة الكفر واحدة" وان الاميركيين والسوفيات ينتمون معا، اذا اخذنا معياره الفقهي، الى أمة الكفر الواحدة؟ وفي تصوري ان استعماله لعبارات التحريض لا ينتج منها الا إشعال النار بين المسيحيين والمسلمين في العالم وقد بدأت تشتعل في باكستان. انا اعرف ان المسلمين يخوضون الحرب على المشركين ولها قواعدها الفقهية وضوابطها واعرف ان الحرب لا تشن على النصارى من حيث هم كذلك وقد ارتبط المسلمون بهم بالعهود العمرية وأمنوهم على صلبانهم وبيعهم كما ورد في عهد عمر لأهل ايلياء (القدس) الذي غدا نموذ العهود. فكأني بأسامة يوحد بين المسيحيين والمشركين ولا يمكن ان يتبعه فقيه جدي واحد. واذا كان المسيحيون الحاليون مشركين فالمنطق يقضي بأن يبادوا جميعا. اني احمّل كل من ذكر الصليب والصليبيين والمسيحيين والنصارى في كلامه على هذه الحرب مسؤولية مباشرة في تعريض المسيحيين الى خطر.

امام التحليل الحضاري الحالي لا تثبت اليوم مقولة دار الإسلام ودار الحرب. لقد تغيرت كليا. ولا يمكن ان يكون للجهاد اي تطبيق. من يدعو اليه؟ ضد من يقاد؟ اية قوة عسكرية تجمع الدول الإسلامية؟ بعد اندثار الخلافة من يتكلم باسم المسلمين سياسيا؟ ممن يشتري المسلمون سلاحهم؟ أليس الكلاشنكوف الذي يحمله الشيخ اسامة من صنع "الكفار"؟

* * *

غير ان أهم ما يضعف طرح أسامة بن لادن وبعض حلفائه الذين نسمعهم على محطات التلفزة انهم لا يدرون ان الاميركيين ليس عندهم حليف غير شارط او غير متحفظ الا بريطانيا العظمى. انا واثق ان الشعب الاميركي سوف يتضجر من حرب لا علاقة بين وسائلها الهائلة والهدف الذي هو القاء القبض على اسامة وعلى شبكات الإرهاب في العالم كما لا علاقة بين الإرادة المعلنة في اسقاط صدام وتجويع الشعب العراقي. ثم اعلن وزير الدفاع الأميركي انه لا يهتم كثيرا اليوم لالتقاط أسامة. اذًا ماذا تريدين يا اميركا؟

ان الذكاء الإسلامي الهادئ يبتغى منه في كل بلد الا تستسلم جماهير المسلمين الى انفعالات لا توصل امة الإسلام الى نصر. انا واثق ان المسيح والمسيحيين الصادقين يحبون الشعب الأفغاني الفقير الذي لا حيلة له في هذا الوضع. واكبر دليل على ذلك ان الملايين منه قد غادروا بلدهم قديما وحديثا. السؤال هو كيف نحفظ الشعب الأفغاني وكيف نمنع هذه الهجمة الشرسة العمياء ان تنتشر.

ان المسلمين لهم قلوب واكثرهم قال ان هذه القلوب كانت الى ضحايا الحادي عشر من ايلول والى ذويهم. الذي تناول الموضوع وزكى فاعلي هذه الكارثة يكون قد فقد الحنان الإسلامي وآمن بخرافة قسمة العالم الى صليبيين والى حاملي راية الإسلام.

انها لفرصة ذهبية ولوشاقة ان ينتقل المسلمون من شعورهم بأنهم امة تتراص بالمظلومية الى كونهم امة اخرجها الله بعطفه وكرمه لتخدمه وتتعاون وكل فرد يؤمن بالله وبالقيم ابتغاء تكوين عالم واحد يقوم على العدل للجميع.

* * *

في هذا المنحى سألت المغفور له الشيخ صبحي صالح مرة اخرى: هل وردت لفظة الإسلام مرة واحدة بمعنى الأمة التي تؤمن بمحمد وذلك على أساس قول القرآن: "ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما" (آل عمران، ٧٦). وقد دعا يوسف ان يتوفاه ربه مسلما والآيات الشبيهة بذلك كثيرة.

قلت للشيخ لم اعثر على ما يدل على ان المفردة محصورة بأهل محمد. قال: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" (المائدة الآية ٣) لا تدع مجالا للشك. لم أناقش الشيخ الصديق ولكني لم اقتنع ان كلمة الإسلام في الآية هذه وردت بخصوص الدلالة اذ كلنا مسلم لله. الكلام على الصليبيين صرخة استنفار لا تعني شيئا الا لمن لا يزال اسيرا للقرون الوسطى. واذا كان السيد بوش مقتنعا بأن الإسلام يعني السلام كما قال في مسجد واشنطن فليعبر عنها، حقيقة، بإعادة طائراته الى قواعدها ونحن نتمنى لها عودة سالمة.

المطران جورج خضر